:

البنية العلوية للمدافن المروية وما بعد المروية في وادي الملك ووادي المقدَّم ومنطقتي الشلال الخامس والشلال السادس: دراسة مقارنة أولية

هويدا محمد آدم
يحيى فضل طاهر

Abstract: The Post-Meroitic period (300-600 AD) is archaeologically characterized by its mound burials distributed along the Nile Valley in Sudan. However, many Meroitic (300 BC-350 AD) burials have been discovered along Wādi Al Muqaddam and Wādi Al Malik, which used to connect the Northern Kordofan and Western Sahara with the Nile Valley. This paper tries to investigate the cultural relationships between the four regions through the study of burial superstructure of Meroitic and Late-Meroitic periods. The study revealed that the circular shape superstructure of graves covered with stones (simple and axle) spreads all over the areas under study. Another type of graves, i.e. the ear pinna-shaped (Goulet), were found to be common in Wādi Al Muqaddam and the Sarōrāb area (Sixth Cataract Region), in contrast with a third type, i.e. the ring-shaped (Bazina and Corbielle), which are common in Wādi Al Malik and the Fifth Cataract Region. Accordingly, the study concluded that special population movements seemed to have taken place from Wādi Al Muqaddam to Sarōrāb area and from Wādi Al Malik to the Fifth Cataract Region. These movements were parallel to a general population mobility which took place in the area between the Nile and the desert during the same period.

١ – مقدمة

زاد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالدور التاريخي للوديان والمجاري المائية القديمة (paleochannels) بشكل بارز، لأنها كانت مأوى للإنسان في القدم، ومن ثم فإنها تحتوي على العديد من المواقع الأثرية، وكذلك لعبت دوراً محورياً في نقل

الثقافات بين الصحراء ووادي النيل. ومع دراسة الأودية والأنهار القديمة الجافة، مثل وادي الملك ووادي المقدَّم ووادي هور، أصبحت الأدوار التاريخية التي لعبتها واضحة جداً.

وعلى الرغم من الدراسات العديدة للمواقع المروية في الشمال وفي البطانة، إلا أن هنالك صعوبات عند دراسة علاقة دولة مروي مع الصحراء الغربية، وذلك لعدم وجود البيّنات الآثارية الكافية. إضافة إلى ذلك فإن المقابر المروية أو ما بعد المروية تتميز بالتنوع الشكلي (supper structure) والكثرة والانتشار الجغرافي الواسع. وتعتبر هذه المقابر بقايا مهمة لدراسة المجتمعات في تلك الفترات. وتتركز هذه المدافن بصورة أكبر على طول نهر النيل بين الشلالين الرابع والسادس، فضلاً عن العديد من الوديان بعيداً عن النيل، والتي تحتاج لمزيد من الدراسات.

الجدير بالذكر أن هذا النوع من الدفن لم يكن وليد فترة مروي أو ما بعدها فقط، بل كان عادة قديمة ترجع إلى فترة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م.)، وربما الفترات السابقة لها ومن بعدها الفترة المسيحية (٥٤٣-١٥٠٥م)، مما ينشئ خلطاً لدى كثير من العاملين في هذا المجال. ولذا فإن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على وجود الإنسان في وادي النيل والصحراء وعملية التكيُّف البشري فيهما، وكذلك لتعقب حركة الإنسان والعلاقات المتبادلة بين المجموعات المختلفة في فترتي مروي وما بعدها.

لقد واجهت هذه الدراسة مشاكل عدة، منها عدم وجود دراسات تحدد الملامح القاطعة بين المدافن المروية وما بعد المروية وبين الفترات الأخرى. كذلك عدم وجود بيّنات حول بعض الأودية المهمة، وندرة الأدلة المادية الثقافية على السطح. الجدير بالذكر أن هذه الدراسة اعتمدت على البنية الخارجية للمقابر فقط، ولذا فإنه من المؤمل

أن يكتمل المشهد بدراسة البنية الداخلية والتي قد تكشف عن عادات الدفن والمواد الثقافية.

٢- العمل الميداني

قام الباحثان بمسح منطقة وادي الملك وبعض الأودية في شمال كردفان في أبريل ٢٠٠٨. وفي يونيو ٢٠٠٨م تم مسح نحو ١٢٠ كلم من منتصف وادي المقدم (شمال غربي الخرطوم)، وكذا منطقة غرب النيل – شمال أمدرمان من السروراب حتى الحقنة في الشلال السادس. أما منطقة الشلال الخامس فقد تم العمل فيها في عدة مواسم نفذت خلالها عدد من المسوحات ما بين عامي ٢٠٠٧م وحتى ٢٠١٠م (خريطة ١).

٣- الدراسات السابقة

أنجزت في الآونة الأخيرة أعمال كثيرة من قبل العديد من البعثات الآثارية والدارسين في المناطق المختلفة في السودان. على سبيل المثال حملة انقاذ آثار النوبة، حيث كان آخرها الحملة التي أطلقت لإنقاذ آثار منطقة الشلال الرابع قبيل قيام سد مروي عليها. وقد ظهرت نتائج هذه الحملة في المؤتمر الدولي الحادي عشر للدراسات النوبية بلندن في أغسطس ٢٠١٠، حيث قدمت أوراق عديدة تطرق بعضها إلى هذه الفترة.

ذكر لانق[١] (Lange) أنه كان هنالك اتصال بين النيل والأودية التي في الصحراء التي تقع غرب النيل يعود إلى فترات قديمة، حيث أن أنماط الفخار في وادي هور

(١) M. Lange (2005): "More archaeological work in Lower Wādi Howar (Northern Sudan) – a preliminary report on the 2003 field season". *NYAME AKUMA*, No. 63, pp. 15-19.

خريطة (١) توضح الأودية والشلالات والهجرات السكانية

يدل على وجود علاقة مع مناطق مختلفة من النيل. أما المسح الذي أجرته قراتاين[٢] (Gratein) لمنطقة الزنكور في كردفان لمواقع تعود للعصر الحجري الحديث (٥٠٠٠– ٣٠٠٠ ق.م)، فقد أوضح وجود مواد آثارية فخارية مختلفة عن تلك التي في النيل. غير أن الدراسة التي أجرتها هويدا وخبير[٣] في منطقة شمال كردفان (وادي الملك) لا تتفق تماماً مع ما تقدم، حيث تم العثور في هذه المنطقة على بعض الأنماط المشابهة لفخار النيل وأخرى بعيدة الشبه عنه. ويحضرنا هنا قول آدمز[٤] (Adams) نقلاً عن تويني إنه من الممكن أن يكون القبر ذو التل الترابي المغطى بالحجر أو بالحصي قد بقي مستخدماً في غرب السودان منذ فترة كرمة، وأن إدخاله إلى وادي النيل مرة أخرى راجع إلى المهاجرين منه.

في منطقة الشلال الثالث سجل إدوارد وعلي عثمان[٥] مدافن تلية تعود لفترة ما بعد مروي. وفي منطقة الشلال الرابع أرَّخ آدمز[٦] للمدافن التلية في الصحراء

(٢) B. Gratein (2006): "Survey in the Western Kordofan around Zankor and Abu Sofyan (2002-2005)", *Proceedings of 11th International Conference of Nubian Studies*, Part two, Polish Center of Mediterranean Archeology. Warsaw: Warsaw University Press, pp. 237-245.

(٣) Hwida M. Adam and M. Khabir (2011): "Pottery from Sites Surveyed in Sodari District, Kordofan Province. An Interim Report 2008- 2009", *Sudan and Nubia*, No. 15, pp. 18 -22.

(٤) W.A. Adams (1977): *Nubia: Corridor to Africa*. London: Princeton.

(٥) D.N. Edwards and A. Osman (1992): The Mahas Survey, 1991, Interim Report and Site Inventory. Report No.2. University of Cambridge

(٦) G. Lassanyi (2006): "Tumuli burials and nomadic population of Eastern Desert in late antiquity", *Proceedings of 11th International Conference of Nubian Studies*, Part two, Polish Center of Mediterranean Archeology. Warsaw: Warsaw University Press, pp. 595-606.

الشرقية حتى الفترة الرومانية–البيزنطية. أما اوسيبنسكا[٧] (Osypinska) فقد وجد عظاماً للإبل والبقر والماعز في مدافن ما بعد المروية، ويعتقد أن هذه العظام هي جزء من ضحايا المقبرة، وهي شبيهة بما وجد في كرمة. وفي الشلال الخامس قامت بعثة جامعة الخرطوم وجامعة وادي النيل في عام ٢٠٠١م بتنفيذ موسم للمسح الآثاري في المنطقة الممتدة من فتوار إلى زمامة (غرب النيل)، أسفر عن وجود أكثر من ١٠٠ موقع دفن تعود لفترة ما بعد مروي. وفي موسمين متتاليين لجامعة الخرطوم في ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م، امتد المسح إلى المنطقة الممتدة من الشريك إلى الكربة (شرق النيل)، وأسفرت عن وجود أكثر من ١٠٣ من مواقع دفن مروية وما بعد المروية (تقارير غير منشورة). وأيضاً مسح خضر وقويس[٨] (Geuis) المنطقة من الكربة إلى الشريك (الشلال الخامس) ووجدا مدافن ما بعد المروية.

يعتقد تورك[٩] (Torok)، متفقاً في ذلك مع مارشال وآدم[١٠] وشيني[١١] (Shinnie)، أنه في الفترة ما بين منتصف القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي تم حشد القبائل النوبية (المتكلمين باللغات النوبية) في اتجاه نحو الغرب إلى

(٧) M. Osypinska (2006): "Animal remains from Post-Meroitic burials in Sudan", *Proceedings of 11th International Conference of Nubian Studies*, Part two, Polish Center of Mediterranean Archeology. Warsaw: Warsaw University Press, pp. 595-606.

(٨) Khedir A. Easa and F. Geuis (1985): "The history and antiquities of Keraba-Sheraik region", *Archeolgie du Nil Moyen*, vol. 7, p. 17.

(٩) Lozo Torok (2005): "History and archaeology of Post Meroitic period", Arkamani, No. 6, (http// www. Arkamani. Org/vol-6/archaeology-6/addendum- post-meroitic-hist-and-arch).

(١٠) K. Marshal and A. Adam (1953): "Excavation of a mound grave at Ushara", *Kush,* vol. 1. pp. 40-46.

(١١) P.L. Shinnie (1954): "Excavation at Tangasi", *Kush,* vol. 2, pp. 66-85.

مركز مملكة مروي. وقال إنه يعتقد أن مجموعة من النوبيين استقرت داخل حدود مملكة مروي في بداية القرنين الأول والثاني الميلاديين. فقد يكون وجود مثل هذه الجماعات قد أدى إلى خلق واقع اجتماعي وثقافي جديد، وقد يكون سبباً في انهيار مملكة مروي. وذهب تورك إلى أبعد من ذلك بالقول إن هذه الجماعات هي المدفونة في قسطل، وليس المرويين كما كان يُعتقد. وأشار أيضاً إلى أن التحركات السكانية والتغيير الإثني في نهايات مروي وما بعد مروي تعزى إلى هذه المجموعة. بينما يرى جاكويت قوردن (Jacquet-Gordon) وبونيه[١٢] (Bonnet) أن سلسلة المقابر التي نُقبت في العُشَرة وتنقاسي وتابو مختلفة عن ما وجد في الشمال، ولا يوجد دليل على اختلاط من عناصر المجموعة (س) في المنطقة شمال الشلال الثالث، وهذا يتسق مع رأي ريلي[١٣] (Rilly)، الذي يرى من خلال حديثه عن موقع نشأة أو مهد اللغات السودانية الشمالية في وادي هور أن جماعة من المجموعة أعلاه قد اتجهت إلى النوبة السفلى بينما اتجهت جماعة أخرى إلى جهة كرمة.

٤- مواقع الدفن قيد الدراسة

كما أسلفنا، يستند هذا المقال على نتائج دراسة مواقع دفن أثرية في أربع مناطق، هي: وادي الملك، ومنطقة السروراب – الحقنة، ووسط وادي المقدَّم، ومنطقة الشلال الخامس.

(١٢) H. Jacquet-Gordon and C. Bonnet (1972): "Tombs of the Tanqasi culture at Tabo", *Journal of the American Research Center in Egypt*, Vol. 9 (1971-1972), pp. 77-83.

(١٣) C. Rilly (2009): From the Yellow Nile to the Blue Nile, The quest for water and the diffusion of Northern East Sudanic languages from the fourth to the first millenia BCE", a lecture delivered to ECAS 2009 (3rd European Conference on African Studies, Panel 142: African waters - water in Africa, barriers, paths, and resources: their impact on language, literature and history of people) in Leipzig, 4 to 7 June 2009.

لقد لعبت الأودية دوراً مهماً في حياة الإنسان، وخاصة خلال فترة الهولوسين (قبل ١١٧٠٠ سنة) المبكرة والوسطى، حيث أمدت نهر النيل بكميات كبيرة من المياه، ويشهد على ذلك اتساع الحوض الحالي للنيل. في تلك الفترة كانت الصحراء رطبة ومضيافة للحياة حتى نحو عام ٣٥٠٠ ق.م.، وبعدها حدث جفاف للأودية، مثل وادي الملك ووادي المقدَّم ووادي هور، وأصبحت في منطقة شبه صحراوية وصحراوية تعتمد على الأمطار الموسمية القليلة. فيما يلي نتناول بالوصف، المدافن التي تم العثور عليها في كل من المناطق الأربع المشار إليها أعلاه:

أولاً: وادي الملك

المطر هو المورد الرئيسي لسيلان هذا الوادي في اتجاه الشمال الشرقي من مرتفعات جبال النوبة. تجتمع الأودية الصغيرة العديدة التي تسمى محلياً بـ"الإيد" (EAD) لتغذي أودية كبرى، والتي تتجمع بدورها لتشكِّل الوادي الرئيسي. هذا الوادي يلتقي مع النيل في جنوب مدينة الدبة في منطقة قنتي، وهي منطقة قريبة نسبياً من نقطة التقاء وادي هور بالنيل في منطقة الباجة شمال الدبة. إن مياه وادي الملك في الوقت الراهن لا تصل النيل. ومن الملاحظ أن قاع الوادي مغطى بالرمال في معظم أجزائه، وبالطمي في بعض الأحيان. ويسكن المنطقة عدد من القبائل، منهم الكبابيش والكواهلة الذين يعتمدون كلياً على الوادي في حياتهم واقتصادهم.

وقد توقف العمل الأثري في هذه المنطقة لعدة أسباب، أهمها عدم الاستقرار الأمني والتكلفة العالية في الأماكن الصحراوية، ولكن يوجد بعض الأعمال مثل عمل البعثة الفرنسية في سواني السنقر في جنوب الوادي. كما قامت جامعة الخرطوم بمسح أثري لأسفل الوادي عند التجمعات البدائية (catchments) في عام ٢٠٠٧م وحتى ٢٠١٠م، وقد عكس هذا العمل مدى ثراء المنطقة من الناحية الآثارية (جدول ١)، حيث تم العثور على العديد من مواقع العصر الحجري الحديث، وعددٍ من المدافن.

جدول رقم (١): مواقع المقابر بوادي الملك

الموقع	الإحداثيات	النوع	الوصف العام	الفترة
جبل الأرابيد	N 14 50.134 E 28 22.151	مدافن	تلة مرتفعة قليلاً، وفي الجزء الغربي منها فإن صخور الكوارتز مرصوفة مشكِّلة مدافن دائرية بأحجام مختلفة.	مروي وما بعد مروي
عديد رحا	N 14 47.618 E 28 35.542	مدافن	على تلة منخفضة نجد أن صخور الكوارتز والجرانيت مرصوفة مشكِّلة مدافن دائرية. وهنالك أيضاً بعض الأجزاء المغطاة بالرمال الزاحفة.	–
قلعة الصفرا	N 14 50.605 E 28 19.387	مدافن	على تلة منخفضة ممتدة غرب جبل مخرز وشمال وادي المخرز توجد مدافن دائرية مغطاة بصخور الجرانيت.	–
جبل سنان مقبول	N 14 28.993 E 28 20.561	مدفن	على جبل توجد مقبرة تلية ضخمة محاطة بصخور.	مروي وما بعد مروي
أبو زمام	N 14 47.130 E 28 22.035	مدافن	على جبل (إلى الجنوب من جبل الأرابيد) توجد المقابر المروية بشكلين هما: (أ) مقابر دائرية مغطاة بالصخور بقطر ٥–٨م وارتفاع ١م، وهي الأكثر عدداً، (ب) قبر دائري محاط بالحجارة على شكل حلقة.	مروي
جبل الغدران	N 14 44.016 E 28 24.696	مدافن	على الطرف الجنوبي الغربي تربض مقابر دائرية، وتوجد بعض الكهوف في الطرف الجنوبي الغربي من الجبل.	

شكل رقم (١): صورة للأقمار الصناعية توضح مواقع الدفن بوادي الملك

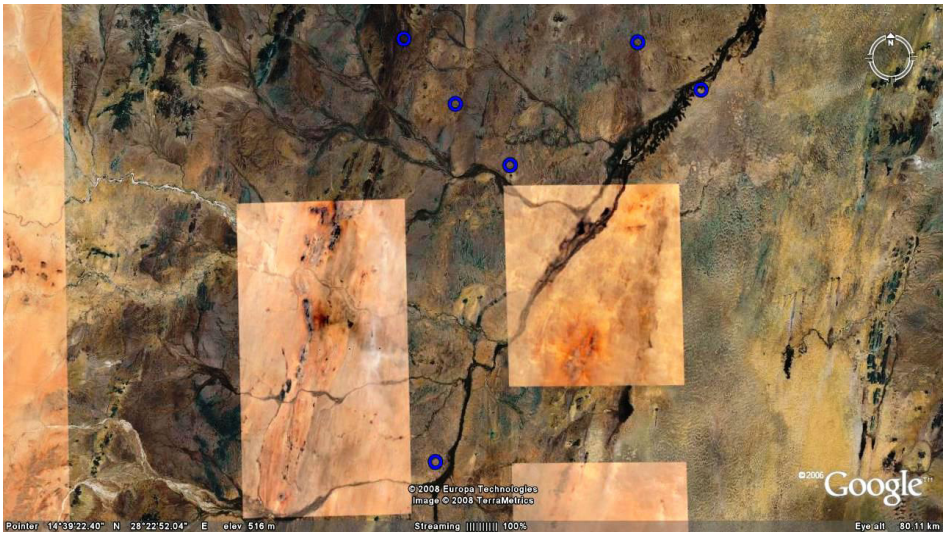

ثانياً: منطقة الشلال الخامس

ما يميز منطقة الشلال الخامس، وجود عدد كبير من المدافن المروية وما بعد المروية. في الجدول (٢) رصدت بعض المواقع.

جدول رقم (٢): بعض المقابر المروية وما بعد المروية بمنطقة الشلال الخامس

الموقع	النوع	الوصف العام	الفترة
١- المنطقة من الدياجة للزمامة- الضفة الغربية	مدافن	٩٦ موقعاً بمتوسط نحو ٢٢ مقبرة لكل موقع.	العديد من المدافن ما بعد مروي
٢ - من الكربة إلى أبو سدير (شرق النيل)	مدافن وأخرى	٣٣ موقعاً، ٣ منها تحتوي على مقابر.	مدافن ما بعد مروي
٣- الشريك - الكربة	مدافن وأخرى	٧٧ موقعاً، ٣ منها تحتوي على مقابر.	مدافن ما بعد مروي

ثالثاً: وسط وادي المقدَّم

وادي المقدَّم منخفض طبيعي يمتد من غرب أمدرمان (نحو ٥٥ كلم) موازياً للنيل الأبيض ثم يتجه إلي الشمال الغربي قليلاً ويتحول اتجاهه إلى الشمال الشرقي صوب النيل ليصب في منطقة كورتي بالولاية الشمالية.

كما ذكرنا في ما تقدم، لقد تم مسح منطقة وادي المقدَّم، تحديداً المنطقة الواقعة بين أمدرمان والتمتام والموازية لشارع شريان الشمال (٢٠٠ كلم)، في عام ٢٠٠٨. وقد جرى مسح سابق للمنطقة من أمدرمان إلى القبولاب بواسطة بعثة الجمعية السودانية للأبحاث الآثارية (SARS) في ١٩٩٣. وقد كشفت الدراسة عن وجود العديد من المواقع الأثرية بدءاً من العصور الحجرية حتى الفترة الإسلامية. وقد جدت الجمعية أدلة على وجود صلات بين هذه المنطقة والعاصمة المروية في الألفية الأولى للميلاد، حيث وجدت المدافن التلية المروية.[١٤] وشدد كندل[١٥] (Kendal) على أهمية المنطقة بالنسبة للفترة المروية والنبتية، حيث وجدت فيها مبانٍ تدل على السيطرة العسكرية والتجارية على الوادي. أما وايتمان[١٦] (Whiteman) فقد خلص إلى وجود بحيرة شكَّلها النيل الأبيض، كانت تتصل مع وادي المقدَّم من الناحية الجنوبية. وكذلك عثر فولر (Fuller) وسميث[١٧] (Smith) في وادي المقدَّم على قواقع وبقايا أسماك، مما

(١٤) M. Mallinson (1998): "The SARS Survey from Omdurman to Gabolab 1997". In: Timothy Kendall (ed.), *Ninth International Conference of Nubian Studies*. Boston: Museum of Fine Arts and Northeastern University, pp. 349-352.

(١٥) T. Kendal (1999): Report for NCAM Bsyuda Expedition, Unpublished Report.

(١٦) A.J. Whiteman (1971): *The Geology of the Sudan.* Oxford*:* Oxford University Press.

(١٧) D.Q. Fuller and L. Smith (1998): "The Prehistory of the Bayuda: New Evidence from the Wadi Muqaddam", in: Timothy Kendall (ed.), *Ninth International Conference of Nubian Studies*. Boston: Museum of Fine Arts and Northeastern University.

يشير إلى ارتفاع معدل سقوط الأمطار في هذه المنطقة في الماضي. وهذه البقايا تؤكد وجود الرطوبة وربما وجود نهر. ويقول كندل إن أهمية طريق وادي المقدَّم قد ازدادت في نهاية الفترة المروية، وأن المقابر التلية التي تعود لفترة ما بعد مروي منتشرة على الوادي، وبصورة أكبر عند تجمع الأودية والآبار. وقد ازدادت أهمية الآبار في هذه المنطقة، وتجمع الناس حولها لشدة وطأة الجفاف.

شكل رقم (٢): صورة للأقمار الصناعية توضح بعض مواقع المقابر المروية وما بعد المروية بوادي المقدَّم والشلال السادس

جدول رقم (٣): بعض المقابر المروية وما بعد المروية بوادي المقدَّم

الموقع	الإحداثيات	النوع	الوصف العام	الفترة
١	N 18 11. 830 E 031 50. 729	مدافن (٥٠ قبراً)	في منطقة مرتفعة نسبياً توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٨ – ١٠م وبارتفاع ١,٥م.	–
٢	N 16 21. 780 E 030 49. 270	مدافن (٥٠ قبراً)	في مناطق مرتفعة نسبياً وأخرى مسطحة توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٨ – ١٠م.	–
٣	N 16 25. 291 E 031 49. 064	مدافن (٦٥ قبراً)	في منطقة مرتفعة نسبياً توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢ – ٧م. وهنا يلاحظ أن القمة مفتوحة وبها عمق دائري.	–
٤	N 16 25. 291 E 031 49. 064	مدافن (٦٥ قبراً)	في مناطق مرتفعة نسبياً وأخرى مسطحة توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢ – ٨م.	–
٥	N 16 30. 848 E 031 49. 859	مدافن	في مناطق مرتفعة نسبياً توجد عدة مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢ – ٦م. يلاحظ أن القمة مسطحة.	–
٦	N 16 35. 432 E 031 49. 402	مدافن (٦ قبور)	في مناطق مرتفعة نسبياً توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٦–١٤م، ويلاحظ أن القمة مسطحة.	
٧	N 16 37. 334 E 031 49. 869	مدافن (١١ قبراً)	في مناطق مرتفعة توجد مقابر تلية دائرية ضخمة بقطر يتراوح بين ٨–٢٠م وبارتفاع ٣م. يلاحظ أن القمة بها صخور وبعض شغفات الفخار المروي.	
٨	N 16 46. 934 E 031 47. 241	مدافن (١٧ قبراً)	في مناطق مرتفعة توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢–٨م وبارتفاع ١,٥م، ويلاحظ أن القمة مسطحة.	
٩	N 16 50. 430 E 031 41. 505	مدافن	في مناطق مرتفعة توجد عدة مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢–٦م.	
١٠	N 16 53. 800 E 031 42. 955	مدافن (٥٨ قبراً)	في مناطق مرتفعة توجد عدة مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢–٦م، ويلاحظ أنها مغطاة بالحجارة.	
١١	N 16 53. 800 E 031 42. 955	مدافن (٥ قبور)	في مناطق مرتفعة توجد مقابر تلية دائرية بقطر يتراوح بين ٢–٨م، ويلاحظ أن القمة مسطحة.	

رابعاً: منطقة السروراب – الحقنة (الشلال السادس)

تقع قرية السروراب شمال أمدرمان على الضفة الغربية لنهر النيل، ٤٥ كم إلى الشمال من الخرطوم في منطقة الشلال السادس. وكان العمل الأثري في هذه المنطقة قد اضطلعت به جامعة الخرطوم لعدة مواسم (مواسم، ١٩٧٥م، ١٩٧٨م، ١٩٨٢م، ١٩٨٧م). خلصت الدراسة إلى معلومات خاصة لحد كبير بفترة ما قبل التاريخ (فضلاً عن الفترات الأخرى). وقد قمنا بزيارة بعض المدافن في المنطقة في يونيو ٢٠٠٨، وتتلخص الملاحظات حول هذه المدافن في الجدول (٤).

جدول رقم (٤): بعض مقابر منطقة الشلال السادس (السروراب)

الموقع	الإحداثيات	النوع	الوصف العام	الفترة
١	N 15 32. 690 E 032 32. 347	مدافن (٤١ قبراً)	تقع المدافن بين خورين صغيرين شمال جبل الشيخ الطيب. توجد مقابر تلية مغطاة بالحصى بقطر يتراوح بين ٤ – ١٤م.	مروي وما بعد مروي
٢	N 16 99. 205 E 032 32. 499	مدافن (٢٢ قبراً)	تقع المدافن شمال خور صغير غرب، وهي مقابر تلية مغطاة بالحصى بقطر يتراوح بين ٤ – ٨م.	مروي وما بعد مروي
٣	N 16 05. 801 E 032 31. 503	مدافن (٨ قبور)	مقابر تلية مغطاة بالحصى بقطر يتراوح بين ٤ – ٨م.	مروي وما بعد مروي
٤	N 16 08. 555 E 032 32. 325	مدافن	تقع المدافن فوق تل صغير بين خورين صغيرين، وهي مقابر تلية بقطر يتراوح بين ٢ – ٤م.	–

شكل رقم (٣): صورة للأقمار الصناعية توضح

بعض مواقع الحقنة – السروراب (الشلال السادس)

٥ – تصنيف البنية الخارجية للمدافن

انتهت الدراسة إلى وجود تشابه كبير في البناء الخارجي للمقابر يمكن أن نلخصه كما يلي:

النوع (أ)

وهو النوع الأكثر شيوعاً، ويتشكَّل من تلال كبيرة، والسطح مغطى بالحجارة ومستدير، ويمكن أن تكون المدافن متباينة الحجم والارتفاع والقطر. ويوجد هذا النوع في شكلين:

أ–١: تل دائري ومنخفض (Axle- shaped monument)

أ–٢: تل دائري ومرتفع (Simple tumulus)

أ–١	أ–٢
	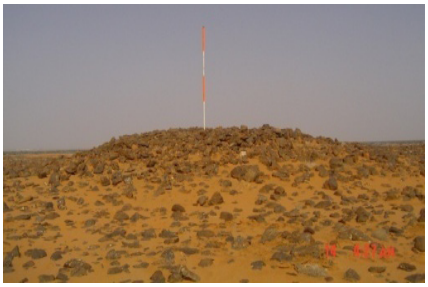
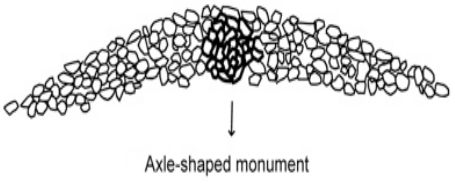 Axle-shaped monument	Simple tumulus

النوع (ب)

وهو أيضاً نوع شائع، ولكنه أقل شيوعاً من النوع أعلاه. وهو تل دائري محاط بالحجارة (على شكل حلقة). ويمكن أيضاً تقسيمه إلى شكلين:

ب–١: مرتفع (Corbeille Monument)

ب–٢: منخفض (Bazina)

النوع (ج) (Goulet)

هذا النوع هو الأضخم من بين الأنواع الأخرى، حيث يتراوح قطر المدفن فيه بين ١٢–٢٠م. التل دائري الشكل ويميل إلى أن يكون منخفضاً في بعض أجزاء الدائرة (يشبه شكل الأذن الخارجي) ويحاط بالحصى أو الحجارة.

ب-١	ب-٢
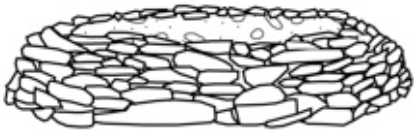 Bazina	Corbeille monument

٦- النتائج

يمكن تلخيص ما توصلت إليه الدراسة في أن هناك بعض أنواع البناء الخارجي للمقابر التي تم حصرها تتمثل في:

- النوع (أ)، وهو الشائع والذي وجد في جميع المناطق التي شملتها الدراسة، خاصة منطقة الشلال الخامس. ويدل ذلك ربما على سمة قديمة شائعة بين كل المجموعات التي كانت تتنقل بين النيل والصحراء.
- النوع (ب)، تم العثور عليه بصورة أكبر في مناطق وادي الملك ومنطقة الشلال الخامس.

• النوع (ج)، وهو سمة مشتركة في وادي المقدَّم ومنطقة السروراب (الشلال السادس).

هذا يدل على وجود علاقة ما بين المجموعات السكانية المختلفة التي كانت تنتقل ما بين النيل والوديان. وفقاً لـلام[١٨] (Lamb)، لقد ضرب منطقة شمال إفريقيا جفاف في الألف الأول الميلادي، ويبدو أن هذا الجفاف قد وصل قمته في حوالي ٣٠٠–٤٠٠ وكذلك ٨٠٠ ميلادي. وتتزامن الفترة من ٣٠٠–٤٠٠ ميلادي مع انهيار دولة مروي

(١٨) Lamb, H.H. (1982): *Climate History and Modern World*. Methun: London and New York.

وظهور المجموعة التي سميت ما بعد مروي على مسرح التاريخ على وادي النيل. وهذه الفترة هي المقترحة في هذه الورقة تاريخاً لنزوح سكان الصحراء تجاه النيل بحثاً عن الماء. ويبدو أن الأودية هي التي كانت المسارات إلى النيل. في هذا المستوى من الدراسة يمكن القول إن:

• سكان وادي الملك قد انتقلوا من شعاب الوادي وفروعه إلى منطقة الشلال الرابع في الاتجاه الشمال الشرقي. والشاهد على هذا الافتراض وجود المدافن المتماثلة في المنطقتين بنسبة كبيرة.

• سكان وادي المقدَّم قد انتقلوا من خلال الوادي وفروعه إلى منطقة الشلال السادس في اتجاه الشرق ومن ثم اتجهوا شمالاً وجنوباً مع النيل. هذا الافتراض يسنده وجود المدافن المتماثلة في المنطقتين بنسبة كبيرة.

٧- مناقشة

واضعين في الاعتبار أن هذا المقال يعتمد على البناء الخارجي للمقابر، فإن هذا العمل يحتاج إلى أن يعزز بوسائل أخرى مكملة في المستقبل. قد يرجع التنوع في البناء الفوقي للمقابر إلى الاختلاف في الفترات الزمنية والمجتمعات أو المعتقدات الدينية أو التراتب الاجتماعي والمادة الطبيعية المحلية للبناء. ومن هنا فإن علم آثار وجه الأرض (Landscape archaeology) مهم جداً لمعرفة العلاقات بين المناطق المتقاربة، كما في حالة النيل والصحراء. ويثار رأيان مختلفان بهذا الصدد:

– يبدو أن شكل البناء الفوقي للمقابر عادة متبعة في السودان، ربما حتى قبل كرمة. ويعتقد شيني[١٩] (Shinnie) أن المقابر التلية في العاصمة المروية نفسها قد لا

(١٩) P.L. Shinnie, *op.cit.*, pp. 66-85.

تعود إلى فترة ما قبل منتصف القرن الميلادي الثالث (أي العصر المروي)، بل ربما إلى فترة أبعد من ذلك. ويبدو أن هذه التقاليد قديمة في السودان، مثلما كان في فترة كرمة وغيرها. ويذكر شيني[٢٠] أن تقاليد الدفن المحلي قد استمرت في المناطق النائية خلال فترة الاحتلال الفرعوني، وأصبحت شائعة بعد ذهاب النفوذ المصري. وأضاف أن الإناء الفخاري الذي وجد في المقابر شبيه بما وجده قارستانق[٢١] (Garstang) في مروي في المدافن المتأخرة.

– إحدى الملاحظات تفيد بأنه في وادي الملك إن هذا النوع من المدافن دائما مرتبط مكانياً مع مواقع العصر الحجري الحديث. في هذا المستوى من الدراسة نفتقد إلى المادة الثقافية للمدافن للفترة ما بعد العصر الحجري الحديث وقبل مروي. في الشلال الرابع حفر الطيب[٢٢] بعض المقابر قرب دنقلا العجوز ووجد أن محتويات هذه المقابر تعود للفترة المبكرة لمملكة المقرة المسيحية في القرن الخامس والسادس الميلاديين. وأشار كذلك إلى أن بعض المقابر تحتوي على مواد تشير إلى رتبة عالية لأصحابها. وكانت هذه السمة واضحة جداً في منطقة وادي المقدَّم والشلال السادس، في حين أنها غير واضحة في وادي الملك والشلال الخامس، الأمر الذي يوضح أيضاً تشابه سمات وادي المقدَّم مع الشلال السادس من ناحية ووادي الملك مع الشلال الخامس من ناحية أخرى.

(٢٠) *Op.cit., idem.*

(٢١) J. Garstang (1914): Fourth Intern Report on the Excavations Meroe in Ethiopia, LAAA, pp.1-21.

(٢٢) M. El-Tayab (2006): "Excavation at El-Zuma", a paper presented to the 11th International Conference of Nubian Studies, Warsaw 27 August -2 September 2006.

– إذا كانت هذه التقاليد من سمات الدفن في العصر المروي وما بعد مروي، فهي منتشرة في نطاق واسع من البلاد. إذن فإنها ظاهرة تعكس التمدد والانتشار لهذه الحضارة إلى المناطق النائية.

وهنا يثار موضوع آخر مرتبط بهذا النوع من الدفن يتعلق باتجاه حركة الناس، هل كان من الأودية إلى النيل أم العكس أم الاثنين معاً؟ في اعتقادنا أن الحركة لم تفتر طوال فترات التاريخ جيئة وذهاباً. والسؤال الآخر، إلى أي مدى امتد هذا الحراك السكاني إلى مناطق واسعة في البلاد؟ هذا، مع الأخذ في الاعتبار عدة مناطق لم يصلها العمل الأثري بعد إلا من بعض المشاريع الحديثة مثل الذي ابتدره البروفسير خضر آدم عيسي (مشروع النيل الأبيض) عام ١٩٩٧م. ويمكن القول إنه ربما كانت هناك ثقافة أخرى مختلفة عن ثقافة نهر النيل كانت معاصرة لها في المناطق البعيدة.

وجد كروفوت[٢٣] (Crowfoot) أن زخرفة الإناء الفخاري الكروي ونسيجه وضيق عنقه (جرة الجعة) التي تم العثور عليها في المواقع المختلفة لمملكة علوة في وسط السودان ما زالت موجودة في جبال النوبة. قام مارشال وآدم بأعمال حفرية في مقابر تلية بمنطقة العشرة (٣ كلم جنوب جبل امرحي) ووجدا أن المقبرة فيها تعود لفترة مروي المتأخرة جداً (٢٧٠–٣٥٠م)، ومتزامنة مع ما وجده قارستانق في مروي، ولاحظا أن الفخار الذي وجد في المقبرة لا يشبه فخار مروي، وخلصا إلى أن هذه المقبرة تتبع للنوبيين سكان كردفان الذين نزحوا إلى المنطقة.

(٢٣) J.W. Crowfoot (1925): "Further on pottery. 1. Tagalle, Rashad and Gedir pottery", *Sudan Notes and Records*, Vol. VIII, pp. 125-137.

اقترح مارشال وآدم[٢٤] أن أناساً قد قدموا من كردفان واستقروا على طول النيل من الخرطوم وحتى عطبرة وأسهموا في انهيار السلطة المروية. ومن ثم اتجهوا عبر طريق صحراء بيوضة المعروف آنذاك إلى الأراضي الخصبة في دنقلا وأصبح مركز البيت الحاكم في تنقاسي، وهم من دفنوا في المقابر التلية الضخمة. وتعتبر هذه مرحلة مبكرة من تطور المجموعة (س) (مجموعة ما بعد مروي). وفي فترة لاحقة انتقلوا أسفل النهر، ومع ملامستهم لثقافة مصر والنوبة السفلى الأكثر ثراءً برزت ثقافة بلانا وقسطل وفركة.

كتب شيني[٢٥] في هذا المجال بعيد حفره للمقابر التلية الضخمة في تنقاسي: "لابد أن يكون هذا الفخار منتمياً إلى نهاية الفترة المروية، واقترح أن يكون للنوبة السود المذكورين في نقش عيزانا". ويرى شيني أنه من المحتمل أنهم من دمروا مروي في القرنين الثالث والرابع الميلاديين بعد أن نزحوا من كردفان إلى النيل. ويؤيد شيني رأي مارشال وآدم في أن المجموعات السكانية اتجهت عبر صحراء بيوضة إلى الأراضي الخصبة في دنقلا، وظهر بيت حاكم مركزه في تنقاسي، وهم من دفنوا في المقابر التلية الضخمة، وأن هذه كانت بداية ظهور المجموعة (س).

لقد كشفت هذه الدراسة الأولية أن هناك بعض الارتباط بين منطقتي السروراب ووادي المقدَّم من جهة، وبين وادي الملك ومنطقة الشلال الخامس من جهة أخرى. أما وجود تقليد المقابر التلية الدائرية (نوع أ) المشترك في كل مناطق الدراسة فتشير إلى أن هناك نوعاً منتشراً من السكان أو الثقافة أو الدين أو كل هذه العناصر معاً.

(٢٤) K. Marshal and A. Adam, *op.cit.*, pp. 66-85 and 40-46.

(٢٥) P.L. Shinnie, *op.cit.*, pp. 66-85.

كتب ريلي[٢٦] (Rilly) في هذا السياق: "يمكن اعتبار المرويين والنوبة أخوة على الأقل لغوياً". يرى ريلي أن وجود حصن أبي أحمد (١٠٠ كلم شمال الدبة) كان جزءاً من الدفاعات التي وضعتها الجيوش النبتية والمرويه للدفاع عن التهديدات النوبية من الغرب، فقط مع سقوط مروي في ٣٥٠ ميلادية تقريباً وجدت القبائل النوبية طريقاً مفتوحاً إلى ضفاف النيل. وتشير الدلائل إلى أن الحركات كانت من السودان الغربي نحو النيل بحثاً عن الماء والمرعى. قد ذكر الأب فانتيني[٢٧] (Vantini) أن قبائل القرعان (التي تسكن الآن في شمال دارفور) كانت تعيش في الواحات الواقعة في غرب دنقلا. وذكر اودل[٢٨] (Udal) أن إيليا شلبي قد شاهد معركة بين قبيلة الزغاوة (تسكن الآن شمال دارفور وكردفان) من جهة وقبيلة المحس والفونج من جهة أخرى أثناء زيارته للسودان ١٦٧١-١٦٧٢م، وأضاف أن الزغاوة كانوا يغيرون على قبيلة الكبابيش في قعب اللقية لأخذ الجمال والنساء والأطفال، مما يدل على وجود اتصال بين سكان النيل وبين سكان الصحراء الغربية.

في الآونة الأخيرة حدثت مثل هذه الهجرات في حقبة ثمانينات القرن الماضي، سنين المحل والجفاف والتصحر في السودان، حيث نزح سكان شمال كردفان إلى وادي المقدَّم قرية الشيخ أبو زيد قرب أمدرمان، ومعظمهم استقر هناك حتى الآن.

(٢٦) C. RILLY (2008): Enemy Brothers. Kinship and Relationship Between Meroites and Nubians (Noba), dans *Between the Cataracts. Proceedings of the 10th Conference of Nubian Studies, Warsaw, 27 August – 2 September 2006*, éd. par W. Godlewski et A. Lajtar, Varsovie, Part. I. Mains Papers, PAM Supplement Series 2.1, p. 211-225, 3 fig., 5 tabl.

(٢٧) G. Vantini (1987): Tārīkh al-Masīhiyya fī al-Mamālik al-Nūbiyya al-Qadīma wa al-Sūdan al- Hadīth (in Arabic) (History of Christianity in the Ancient Nubian Kingdoms and Modern Sudan). Khartoum, pp. 48-49.

(٢٨) J. Udal (1998): *The Nile in Darkness*. London: Michael Russell.

٨- التوصيات

في ختام هذه الورقة يدرك القارئ أن العديد من الأسئلة قد طرحت أكثر من الأجوبة. ولذا يوصي الكاتبان في المستقبل إنجاز الآتي:

• مسح شامل لوادي الملك ووادي المقدَّم وسيكون ذلك مهماً جداً للتحقق من جميع أنواع المدافن.

• دراسة البناء الداخلي ومحتويات المقابر (وذلك بإجراء حفريات اختبارية)، لأن هذا جزء مكمل لهذا العمل ولمعرفة النتائج الدقيقة.

• دراسة المنطقة جنوب الصحراء الغربية، أي إلى الجنوب من منطقة الدراسة، وذلك من أجل التحقق من الهجرات السكانية، وخاصة في فترتي مروي وما بعدها.

وتحقيقاً لهذه الغاية، يجب أن يشارك الجميع في أعمال التنقيب الأثري في المناطق الأخرى التي بها مثل هذه المدافن لكي تكون الصورة واضحة.